شعارات الخلاص وقيود العبودية !

د. صلاح الدين النكدلي

بدأ الشيخ درسه الأسبوعي قائلاً : يقول الشاعر :

سقَوني وقالوا : لا تغن ، ولو سقَوا جبالَ حنينٍ ما سـقيت لغنـت

فارتسمت علامات الاستغراب على وجوه الحاضرين ، وتبسم بعضهم ظناً منهم أن مثل هذا الشعر لا يقال في المسجد ، وهنا قال الشيخ :

هذا البيت يا إخواني من أشعار الصوفية ، واستشهادي به لا علاقة له بالمعاني التي يريدونها ، ولكنني منذ أيام وأنا أقرأ عن استعداد محتلي فلسطين الحبيبة للاحتفال بمرور ستين عاماً على إعلان دولتهم ، وأن عدداً ممن يسمونهم « **زعماء العالم الحر** »! سيحضرون الاحتفال ، وسيقدمون الهدايا السخية ، وسيعلنون تأييدهم المطلق لدولة العدوان التي صنعوها بقراراتهم ، وأسلحتهم ، ودعمهم المادي والمعنوي !! .

وخلال هذه الأيام كان هذا البيت يتردد على لساني ، وهو يقول لي :

لقد قرر ساسة الغرب بالتفاهم مع الصهاينة إقامة دولة ليهود في فلسطين ، ثم فعلوا بأهلها والعرب والمسلمين الأفاعيل ، ويزعمون أن يهود أصحاب حق وشرعية دولية !! ، ولم يكتفوا بالعدوان على الأرض والعرض وإنسانية الإنسان ، بل ذهبوا يصفون « الضحايا » بأنهم « متزمتون » « متطرفون » « إرهابيون » ، ويطالبونهم بـ « التوبة » والاعتراف بالخطأ ، والإقرار بشرعية الاحتلال الاستيطاني ، بل والتسبيح بحمد المغتصبين ومن يقف معهم ووراءهم !! .

ونسي الغاصبون والمفترون - أو تناسوا - أن « **حق القوة** » التي يملكونها الآن ، لن يسكت أو يقضي على « **قوة الحق** » وأن الذي صنعوه في فلسطين أشنع وأفظع من جرائم الاحتلال والإذلال التي عرفها تاريخ البشرية ، وأن الشعوب لن تستسلم لكافة محاولات تزوير الحقائق والافتراءات مهما بلغت قوة المعتدين ، ومهما ملكوا من وسائل القمع والتدمير والقدرة على قلب وتسميم المعلومات ، فالشعوب المعتدى عليها تدرك أن « أصحاب القرار الدولي » يستمدون براهينهم من « السلاح » و « الإعلام » الذي يتولى نشر « الشبهات » وتحريك « الشهوات » .. وإلى هذه المعاني أشار الشاعر :

فدعوى القوي كدعوى السباعِ من الناب والظفر برهانهـا

ويؤلمنا أن يسلك ساسة الغرب في تعاملهم مع الشعوب المستضعفة، وفي مقدمتهم شعوب العالم الإسلامي ، منطق المستبدين في التاريخ ، والذي يجسده قول الشاعر :

جلوا صارماً ، وتلوا باطلاً وقالوا : صدقنا ، فقلنا : نعم !!

ويحزننا أن واقع أصحاب القرار في الغرب يصدق في وصفه قول الشاعر :

إذا صعدوا الأعواد قالوا فأحسنوا ولكن حسن القول كذبه الفعلُ

ومن الأدلة القاطعة لدى المسلمين على تناقض « **الواقع القبيح** » مع « **الشعارات الجميلة** » ما نراه هذه الأيام في فلسطين ، حيث يلتقي زعماء غربيون « **بألسنتهم شعارات الخلاص وبأيديهم قيود العبودية** » ليحتفلوا بتأسيس دولة الإرهاب والاغتصاب . وهي تمارس أفظع ألوان القهر والقتل والتمييز في غزة والضفة الغربية والقدس ..

ومع كل ما يجري على الأرض الفلسطينية يتجرأ « زعماء العالم الحر » ويصرحون بما يتناقض مع الحقائق .. بأنهم سيدعمون « إسرائيل » في تصديها لقوى التطرف والإرهاب وأعداء السلام وحقوق الإنسان !! ألا ما أروع قول الشاعر وهو يتحدث عن مثل هؤلاء الزعماء :

ونشيد السلام يتلوه سفا حون أجادوا التدمير والتقتيلا !!
وحقوق الإنسان لوحةُ رسا مٍ أجاد التزوير والتضليلا !!

ألا ما أظلم الإنسان حين يملك القوة ويفقد العدل والإنصاف !!

قال الشيخ : ونعود إلى بيت الشعر الذي بدأنا به حديثنا لنؤكد على المعاني الآتية :

١- حين يطلب الجناة من الضحايا أن يكفوا عن الشكوى فإنهم واهمون ، لأنهم يطلبون المستحيل .. وإذا أسقطنا هذه الحقيقة على مأساة فلسطين ، فإنه يتضح من شدة فظاعتها وشناعتها أن الذي فعله يهود وأعوانهم بفلسطين وأهلها لا تتحمله الجبال الراسيات .. وأن هذا الظلم الفظيع هو المسؤول عن اضطراب الأمن واختلال العلاقات في مناطق متعددة من العالم ، ولا يمكن أن تستقيم الحياة بين الناس إلا إذا رفع الظلم وحلّ العدل .

٢- ينبغي أن يتمسك المظلومون بحقوقهم ، مهما تجبر الظالمون وزوروا الحقائق ، لأن الفراعنة في كل العصور لهم منطق واحد ، ومنهجهم واحد في جوهره ، وإن اختلفت الصور العملية ، ومن مميزات هذا المنهج الفرعوني :

- **وقَالَ فرعونُ ذَروني أقْتلْ موسى وليدع ربه إني أخاف أنْ يبدلَ دينكُم أو أنْ يظْهر في الأرض الفَساد** [غافر : ٢٦] .
- ... **قَالَ فرعونُ ما أُريكُم إلا ما أرى وما أهديكُم إلا سبيلَ الرشاد** [غافر : ٢٩] .

ونبشر المظلومين الصابرين بأن صولة الباطل إلى زوال مهما طال الزمن وانتفش المبطلون : **ونريد أنْ نمن على الذين استضعفُوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ۞ ونمكن لهم في الأرض ونري فرعونَ وهامانَ وجنودهما منهم ما كانوا يحذَرونَ** [القصص : ٥-٦].

٣- ونناشد المسلمين في الغرب أن يقوموا بواجبهم في كشف الحقائق وتبصير المخدوعين بزيف وسائل الإعلام .. وعليهم أن يمارسوا هذا الحق والواجب وفق الضوابط التي تنظم هذا الشأن .. وليعلموا أنهم إذا نجحوا في إيصال الحقيقة إلى الشعوب في الغرب .. فإن كثيرين سيتخلون عن الرواية الكاذبة ، وسيكون لهم دور في رفع الظلم .. فإذا رفع الظلم كان في ذلك الخير للجميع ..